الجلد الضيق

هذا المساء سأذهب الى نزلة السمان – هكذا قال رشاد لنفسه – ربما أستطاع صخب العيد أن ... تلك هى الصيحة التى كانت تشغله غليظة ومتشعبة كحجر في أعماق الصدر لم يكن يعرف الكتابة ولا القراءة . الموت والحب والوجود كلماتلم تكن تعنى شيئا بالنسبة له ومع ذلك كانت تلك الصيحة هى كل هذه المعانى مجتمعة في كتله واحدة تجسم على أنفاسة .

نزلة السمان تطل على مشارف الطريق وتسعى طواعية نحو منحدر يتدهور بعيدا في قلب الصحراء هى قرية تفرط في الملذات تنتفخ ممثل قربه وتضمر مثل ريشه – كوخ على اليمين وثلاثة على الشمال خيمة ومقهى ومصطبه وجدار وحيد وسبعة منازل وصندوق تبدو كما لو أنها لم تقبع هناك الا لحراسة هذا المنحدر الذى يجرى نحو نهايته .

أما رشاد فقد كان يسكن كتله مربعة تخترقها الازقة وكأنها قبضان سجن بلا أخيلة

في الفجر يهرب الى الحقول فقد كانت افضل ولكنه كان يحمل دائما تلك الصيحة وكان يقول لنفسة : هذا المساء سأذهب الى الاحتفال

في نزلة السمان كان يقام المولد والمولد احتفال تعرف القرية كيف تتزين له

قال رشاد لنفسة " سأذهب وسوف ينصهر الحجر

كانت ساقاه مطليتين حتى ركبتيه بقشرة من الطين ولكن ذلك لم يعد يظهر تحت ثوبه الجديد كان يرتدى حزاما من الحرير تتدلى منه خيوط حمراء وكان يضع لبدته الرمادية ويمسك بعصاه كانت العصا لامعه ومشذبه وكانت ترسم دوائر في السماء وعلى الارض علها تزيح الملل

تلك كانت اول مرة يتوجه فيها رشاد الى نزلة السمان وعلى الرغم من أن هذا الاسم كان يحمل على لسانه دائما صور ظلاله وعصافيره كان يحبه اما القبح فقد كانت له اسماء اخرى .. كان يسمى الحجر او الثرى الجميع اعتادوا الثرى فيما عدا رشاد .. اعتاد الطين حقا اوراق الشجر مثلا لن لم يكن يخشى السخرية لامضى الساعات في تنظيفها من الثرى العالق بها كانت تبدو جميلة في اعقاب المطر وكان المطر ينزل خفيفا

وعلى الجانب الاخر من الطريق حيث تسطع الاسلاك والعربات وحيث تنتشر البيوت القديمة تتميز القرية بوتدين رفيعين يغطيهما اللون الاخضر لكن هذا المظهر الصلب الذى يشترك الوتدان في اضفائه عليها سرعان ما كان يخفف من حدته ذلك المنحدر الذى يبدو لاول وهله وكأنه ضحكة أخذه في الانطلاق

لاشيء سوى نزوله يجعلنا نحس بيد خفيفة تدفعنا وتقودنا أما الثرى فقد كان يفر متبخرا وذهبيا تحت وقع الخطوات

وقال رشاد – حتى الثرى هنا يرتدى ثوب العيد

القمر وضوءه الداجى يلعبان على واجهات الجبس الابيض فيخلعان على اليوت اشكالا زخرفية

تتدلى من الاسلاك الممتدة التى تصل بين شرفه ونافذة او بين شجرة وسطح منزل لمبات جاز تهتز بلا توقف تحمى سماء القرية واحتفالها من ظلام يتهددها في جوف الليل

على امتداد الطريق الحيوى تظل الابواب مفتوحة وصحن الفول والنعاس وعودة البهائم وصراخ طفل وتلكؤ العابرين

هناك حيث تتناهى الموسيقى كان يتجمع حشد من الناس انساق رشاد نحوه ارتفع قليلا على منكبيه فلمح في احد الاكان غرفة ثلاث حمامات كانت تتجول بين ثلاث حشايا ملوثه وأنواع كثيرة من الفضلات وفي الوقت الذى مد فيه رشاد رقبته حظى الحاجز بشيء من الظل

عرف الراقص من عمامته ذراعان منتصبتان تمسكان بعصا يأخذ صاحبها في انزالها بحركة بطيئة حتى منتصف ظهرة وهنا يبذل الجسم جهدة للتخلص من الايدى السجينه والحبل الذى يحيط بالخصر وبأطراف قدميه كان يضرب الارض كما لو كان يتخلص من ثعبان يسكنها لكن الثعبان كان يلتف حول سافة ويطوف بأنحاء قامته على ردفيه فوق صدرة حول عنقه وكان يلقى برأسة الى الوراء كما لو كان يحطمة

ثم ترتفع الذراعان من جديد نهما تمسكان العصا ويتكرر كل شيء

الحشد الذى ضاع فيه رشاد كان مشدودا بالارض كان يتكون من جمع يتنفس بيسيم واحد له رأس كبير يهتز في ايقاع واحد يقطعه فجأة الاطفال الذين يغطون وجوههم بأقنعة ذات أفواه حمراء فاغرة ويخفون شعورهم تحت طراطير طويلة من الورق كانوا يقطعون هذا الايقاع الجماعى بصيحاتهم وضحكاتهم وانطلاقهم

وجد رشاد نفسه ملقى على الجانب الاخر من الزقاق فقرر أن يستكمل طريقة ذلك أن الاحتفال الحقيقى كان لايزال بعيدا وكانت الضوضاء تطل اليه امواجا

قال رشاد لنفسه " سأذهب الى هناك كانت هذه العبارة تنكمش على نفسها كأنها داخل محارة يرى اعماقها بصعوبه بالغة غير أن نفحة هواء ساخن لونت خديه

هناك ...

كان الطريق يختنق بين بائع خيار وبائع كعك الاول وضع خضرواته في قفص دجاج وبدا غير مكترث على الاطلاق ببيعها والاخر وضع بضاعته على صينيه ذات ارجل ثلاث وأخذ ينادى عليها بالكلمات والحركات " هيا ، هيا ياعصافيرى الا ترغبون في افساد بطونكم الصغيرة ؟ البطن هى افضل صديق للانسان وكعكى هو افضل صديق لبطونكم

فكر رشاد ثم قال : الواقع أنى سأكل خيار البائع الاول لانه لا يهتم ببيعه على الاطلاق وكعك البائع الثانى لان لاهم له غير بيعه

لكن الحياء لم يجعله يطلق العنان طويلا فمر بين البائعين دون أن يتوقف

دفعه بعض الشبان وقالوا له :

لابد أنك غريب تعال معنا فالاحتفال بعيد جدا ولكى يشكرهم وضع رشاد يده على جبهته فادركوا أنه يرغب في أن يكون وحيدا

ولكى يمرق الى الاحتفال كان عليه ان يمر تحت قوس من الزهور المجله التى ذبل اغلبها كانت الرقصات والاغنيات والصلوات والموسيقى والالوان تتداخل كخيوط السجاد

وقال رشاد مفكرا هنا تنتشر السعادة ولسوف ينصهر الحجر

ومع ذلك لم يكن قد قرر المروق الى الاحتفال ففى موضع القلب كان يصفق عصفور بجناحية تصفيقا متواصلا ولكى يهدأ العصوفر وضع رشاد يده على صدرة واخذ يتقدم خطوة في أثر خطوة

وعادت اليهثقته قطعة قطعة فقد كانت ترقد بأكملها في قلبه عندما أخذ في الصياح صوت غليظ ككتل الجرانيت التى تكسر أحيانا خط الصحارى المنعزل

رحمة بالضرير أنت يامن تمر الرحمة رحمة بالضرير رحمة باليتيم رحمة بالغريب

القى رشاد بنفسه في الاحتفال وكأنه يريد أن يغرق فيه

إمرأة عوراء كانت تبيع قطعا من القطن شبحان يلبسان السواد ويجلسان القرفصاء لا يظهر منهما غير أعين تلمع في كل اتجاه نتيجة لانعكساس الضوء على اسطوانه ذهبية وضعت فوق الانف لتمسك بالطرحة التى تغطى نصف الوجه من أيديهما الملقاه على ثوبيهما وكأنها أدوات لا تنتمى اليهما يمكن معرفة عمر كل منهما كانتا وهما ساكنتان تنظران الى عجوز اخرى تنتفض

كانت هذه العجوز قد خلعت طرحتها وبدت وكأن لها عشر أذرع وبنفس الحركة المحددة التى تتزايد في ايقاع مجنون كانت تطلق اغطيه زجاجات مليئة بماء متقد معطر بالليمون او الورد وكانت تجد الوقت احيانا لكى ترفع رأسها وتصيح :

نادوا سعيدا لينادى احدكم سعيدا لن أجيء الى هنا مرة ثانية ايه سعيد .. ولما لم يحرك احد ساكنا تأخذ بطرف كمها في تجفيف العرق الذى يتصبب من جبينها وتعود الى العمل بأنهماك شديد

فتاة ترتدى ثوبا ورديا وتمسك بعصا طويلة تتوجها بالونات على مختلف الالوان كانت تتقدم بخطى وئيدة وتبدو وكأنها تمشى على ارتفاع سنتيمترات من الارض وبدون أن تغض البصر عن البالونات كانت تتجه الى الامام وهى تحرك شفتيها :

بشرط أن تبقى لى واحدة او لاتباع جميعها وعلى البعد يقف بعض اللاعبين تحيط بهم وهم يؤدون العابهم حشد من الناس في شبه دائرة

يتخذ احدهم من المارة شهودا على وقاحة خصمة فيصيح قائلا :

انظروا اليه ابن الخطية هل يستحق حظا مماثلا ؟ عليكم أن تلفظوة

ويحاول أن يجذب ذراع رشاد :

هل تلعب ؟

فيهز رشاد رأسة

اذن القى الزهر على الاقل بدلا منى فأنا اخسر منذ الصباح

تناول رشاد الزهر واخذ يحركة داخل بوق احمر ثم القى به ولكنه كان قد ابتعد عندما ارتفع صوت الرجل :

لقد انقذتنى ايها الغريب تعال اقدم لك شرابا ايها الغريب قدحا من القهوة على الاقل امام البضائع المعروضة أنعم رشاد النظر في زهور الورق كانت كل الالوان متوفرة ولانه لم يكن قد رأى مثلها على الاطلاق طلب الزهرة الخضراء

قال الرجل : وعروسة حلاوة اشتر لى لو سمحت عروسة حلاوة

كانت العرائس بيضاء وردية الوجه وكانت اجسامها تختفى تحت فساتين من الورق ملونه بالوان قوس قزح منفخة ومطلوبه كالمظلة

حتى لاتفسدها احملها من ساقيها

في الميدان الصغير اقفاص معدنيه تتحرك على قضبان حديدية يستخدمها الصبيه بدلا من المراجيح يضعون طرف الجلباب بين اسنانهم ويصيحون معا في كل دفعة وهم يقلدون صراخ الحيوانات كان سيصم رشاد اذنيه لو استطاع ذلك

كان يحمل العروسة في يده ويمسك الزهرة باليد الاخرى

يفي حانوت جرد مؤقتا من بضائعه وضعت مقاعد ونصب الاراجوز

نفذ اليه رشاد

في الظل كان يرى ايدى كثيرة تتلاصق فتحدث ضجيجا مرتفعا وتهتز لتحرك الهواء الساخن من خولها الاراجوز عبارة عن صندوق مثلث رسمت عليه خطوط عريضة وله فتحة زينت جوانبها بستار اصفر تتناثر عليه بقع من الشحم

كان بجانبه شخصان شاويش يرتدى حلة من الجوخ السميك الاسود بصفين من الازرار النحاسية وفلاح يرتدى جلبابا رماديا ويحمل خرجا به قنب يتدلى حتى منتصف ظهرة

كان الشاويش يهدد بقوله

سأصحبك الى السجن وستنهال عليك ضربات العصا

من أعماق الصندوق كان صوته يخرج ويتساقط كالحجارة وكان يتملل كثيرا فقال رشاد لنفسه

كأننى حمارى عندما تطردان الذباب

كان الفلاح يكتفى بهز رأسة فالساحات بأكملها كانت ترد بدلا منه : الجميع في صوت واحد وكان الشاويش يتراجع الى الخلف كما لو كانت كل كلمة تصفعة على وجهه وينفجر قائلا

في السجن سوف تكسر الحجارة

وكانت الساحة تصيح

ابن حرام فأر عفن

وستطرد الشاويش

لست الا لصا

فتعصف الساحة

لص وابن لص أنت نفسك

احس الفلاح بالحماية فتشجع واستدار نحو الحاضرين واخذ يشكرهم وهو يضع يده على جبهته مرات متتالية وظادت من حماسه الصيحات المتعالية فنزع خرجة والبسه ممثل القانون واخذ يضرب القماش حتى غارت رأس الاخر وصدرة وغاصت تأوهات الشرطى تحت التصفيق والضحكات

كانوا يضحكون من انهم لايعرفون اين كانوا يضحكون على المشهد ويضحكون من انهم يضحكون .. يضحكون طويلا حتى يخشى على وجوههم من الانفجار

وقال رشاد لنفسه ربما كانت هذه هى السعادة

وصعد بشيء كالكرة الى عنقه

من اين طريق الخروج ؟

كان الاحتفال يجرى على ساحة شاسعة تنقسم احيانا الى ازقه مسدودة احدها يستخدم كمقهى هذا المقهى كان عبارة عن وكالة يحدها ظهر بناء وتحميها من الشمس تنده خضراء تظل عددا لايحصى من الموائد والمقاعد تحجب الارض المرتفعة بين هذه الحواجز كان عامل المقهى يتجول في خفه الدبور وهو يحمل صينيه مكدسة بأقداح مليئة واكواب الى حافتها ويتلقى الطلبات على الهواء وهو يستفهم من زبائنه

قهوه اخرى لك أنت هناك اربعة عصير من الذى طلب نرجيلة ؟ حالا هل هناك من ينتظر

كانت غيباته واياباته المستمرة تضايق عازف الناى تتقدمه بطنه التى يحملها كوعاء ثمين يتبعها بخطوات جنائزية وشارب وحاجبين بلا مسافة محدده

وعندما كان يكور خديه كان يعطى الاحساس بأن نفخته ستنزع قلاع كل مراكب النهر لكن نايه المستدير المستطيل المصنوع من الغاب والذى يلامس الارض كانت تصدر منه اصوات رقيقة تداعب الهواء ليس اكثر

وعندما كان ينجح في اتقان نغم كان يتوقف لحظة حتى يسمح للحاضرين باطلاق اهه الاعجاب كان بعض المرة يدفعونه امامهم لكنه كان يفسح لهم الطريق عن طيب خاطر ويغض عينيه علامه على الاعتذار والمحبة

احتك به رشاد مرتين ولم يحصل الا على ابتسامته .

الذراعان الى جانب الجسم والوجه صارم والحاجبان مرسومان بخطوط من الفحم انها أمرأة تغنى وسط حشد من الحاضرين :

كانت تذرع نظراتها أحيانا في نظرة احد الحاضرين بلا دلال كما لو كانت تمطرة بوابل من الاسئلة

قال رشاد لنفسه وهو يقترب يالهما من عينين جميلتين

وسط الجمع اخذت أمرأة عجوز تجذب فتاة ف السادسة من ضفيرتها

بنت ملعونه فاسقة سغيرة أبحث عنك منذ ساعة واعثر عليك وانت تستمعين الى الاغانى حتى في ليلة زفاف اختك

تذكر رشاد وهو ينزلق نخو الساحة الخالية ان اليوم هو بالفعل يوم زواج العذارى فأخذ يفكر في ابنه عمه أنها موعودة له وزواجهما سيتم هو الاخر في احتفال كبير

تحت ثوبها الاسود الذى يغوص في ثنايا حادة كانت المرأة تحمل جسدها بوحشية مخيفة وفجأة تركزت عيناها في عينى رشاد فاحس بقطرات من الماء تغزو صدرة

وقال لنفسه : " سأتزوج من ابنه عمى يذكر رشاد انها كانت نحيفة وانه لم يعثر ابدا على عينيها

لم تكن تبقى المرأة في مكانها كانت تسير في دائرة وهى تمسك بكل خطوة كما لو كانت دزءا واحدا منها وهو الذى يسير

قال رشاد لنفسه مرة ثانية سأتزوج من ابنه عمى وسوف يقام حفل كبير

لماذا يقام حفل ؟ يشترى الرجل أمرأة ويتم الزواج وسط الصيحات والصرخات والالم البالغ كما يحدث في تلك القرية التى ترى بين الاشجار من بعيد ومع ذلك يقام حفل في كل مرة انها العادة

المرأة تغنى صوتها يضطرب كالقمر بين نهرين هاهى تقترب

قال رشاد لنفسة لو كنت استطيع أن احب لو كنت استطيع فقط أن أحب

كانت ابنة عمى نحيفة كانت تختفى في الدران وكان يشاع أنه سيتزوج منها حتما وانها لن تحمل غير صبيان تلك أنها وراثة لاتخطىء لم يحدث أن انتظرها في مكان ما على الاطلاق لم ينظرها على الاطلاق كما كان ينتظر هذه المرأة

يقب كان يتجوف في داخلة – انها مقبرة حجرية هكذا قال لنفسه

كانت المرأة تقف في مواجهته بأصابعها الطويلة كمضارب الارز وكانت أغنياتها تتخللها الاهات مع أن صدرها كان يبدو فاترا كالارض التى هدأت ثائرتها

كانت بتبسم له كان واثقا من ذلك ودون أن تقطع اغنيتها كانت ابتسامتها تنزلق على حافة فمها فاحس رشاد بساقى عروسته تذووبان في راحتيه

كان يشعر بانجذاب نحو هذه المرأة انجذابا ابديا كما يلتصق الفرع بالشجرةولوزة القطن بساقها وكما بلتصق الجفن بالعين والقناه بشاطئسها وكما ... انطلق صوت قائلا " تعالى لقد غنيت بما فيه الكفاية

كان الرجل يحمل طبلا على جانبيه وقد تعلق بحبل حول عنقه وكان يمسك بعلبة من الصفيح تتدلى منها ملاليم تحدث رنينا

توقفت المرأة تماما امام الصوت ثم تبعته ولم يبد رشاد اى حركة ليمسك بها

كم كان وحيدا كاليوم الذى وجد فيه أمه وقد فقدت الحركة وسط انقاض بيتهم الذى تهدم وهكذا احال الستار بينه وبين الماضى فتلك المرأة تذكرة بصورة امه

كانت الاصوات تتناهى من بعيد

الله ... الله !

أخذ رشاد يجرى في اتجاهها

كان بعض الرجال يتماسكون بالاكتاف وينتصبون معا على اطراف اقدامهم ثم يهبطون كسرب من العصافير وقد وقع في المصيدة

قال رشاد " هنا سأجد أمنى وسلامى "

كانت وجوه الرجال متقلصة وعيونهم محدقه وكانت صيحاتهم تشبه صيحات الحيوانات المطاردة بدوى صارم السحنه كان يراقب هذا المشهد يلا اكتراث وكان يتمتع بجلال ووقار سكان الصحراء حول عنقه الطويل كانت تلتف قلائد من الخشب ذات الوان زاهية وكان يضع في اذنه اليسرى قرطين من الذهب

كان الرجال يدورون وكان دورانهم لاينتهى جلاليبهم تلتصق باجسادهم واصوتهم تتهدج وتنتحب

قال رشاد " كل هذا عدم كل هذا عدم " ومع ذلك ظل معهم طوال الليل وحتة سقوط الندى الذى يعلن عن مقدم الصباح

وعندما وقف وقد استنفذ قواه وتصبب جسمة بالعرق تردد في مسامعة قوله : كل هذا عدم

تناول عندئذ عصاه ولكنه لم يعثر على عروسته كانت فد غاصت في الثرى وقد تمزق ثوبها وتجمع النمل حول ساقيها

لم يكن الاحتفال قد انتهى لكن رشاد تركه خلفه غارقا في رائحة تشبه رائحة السكر المحروق كلا كل هذا ليس عدما

" لو استطعت أن احب "

كل ماعدا ذلك كان عدما كل ماعدا ذلك كان يجيء من الخارج كالقميص الذى يغطى الساقين المطليين بالطين كل ماعدا ذلك .. لكن لم يكن هناك غير ذلك

ويستمر الاحتفال كالحياة بعد ذهاب كل من يذهب

بعد مائه عام سيقام احتفال في نزلة السمان دون أن يشترك فيه واحد من هؤلاء الرجال

كان عليه ان يهتدى الى الطريق وأن يخترقه فقد كان الطريق يجرى في كل اتجاه نحو انواع اخرى من الحياة وان كانت كلها متشابهه

كان عليه ان يهتدى الى قريته المربعة بلا اخيلة وكان عليه ان ينزلق من الازقةالضيقة كقضبان السجن وأن يمرق بين الجدران التى يأوى اليها الرجال والبهائم فيدفع الباب المفسخ الاوصال ويدخل الى الحجرة الخانقة كان اخوته واخواته ينامون كومة واحدة وكذلك العنزة والدجاج

تمدد رشاد على القش الى جوارهم لم يأته النعاس وربما لن يأتيه بعد ذلك مطلقا :

بدأ الفجر يحدث في السماء جراحا اخذت تظهر من كل الشقوق دفعة واحدة

في احد اركان الحجرة استولى خيط من الضوء على العصا فاعتمد رشاد على مكبيه لكى يراها بوضوح

كانت لامعه ومشذيه وهى ترسم دوائر في السماء وعلى الطريق

علها تزيح الملل .

جى دى موباسان (١٨٥٠ – ١٨٩٣)

Guy De Maupassant

جى دى موباسان هو اكاتب الفرنسى الشهير الذى ولد في مصر ميرو مينيل في منصف القرن الثامن عشر تماما وبالتحديد في الخامس من أغسطس عام ١٨٥٠ وتوفي في السادس من يوليو عام ١٨٩٣ عن ثلاثة وأربعين عاما فقط ٠٠٠ ومع هذا عرف كأب فعلى وروحى للقصة القصيرة ليس في فرنسا وحدها ولكن في العالم اجمع لايضاهيه الا تشيكوف الروسى وهو صاحب مذهب الواقعية والطبيعية في الادب مع فلوبير وزولا

كان جى دى موباسان قاطعا ومحددا وواضحا في كتاباته الواقعية التى تعد إمتداد للروائيين الثلاثة الكبار بلزاك بواقعيته الشديدة (١٧٩٩ – ١٨٥٠) فلوبير بواقعيته الجديدة (١٨٢١ -١٨٨٠) زولا بطبيعته الممتدة (١٨٤٠ -١٩٠٢) وشع بصمته على الادب الفرنسى برواياته حياة ٨٨٣ وصديق خميليف ٨٥٠ وقوى كالموت ٨٩ وقلبنا ٩٠ وبيير وجان ٨٧ و٨٨ و٣٠٠ قصص قصيرة نشرت في (٤٢) مجموعة منها المجنونة ٨٨٢ اسطورة كبرى سان ميشيل ٨٢ صديقان ٨٣ في الحقول ٨٤ في الشمس ٨٣ ضزء القمر ٨٤ ايفييت ٨٤ الوداع ٨٤ الميراث ورسالة مجنونه ٨٥ فوق الماء ٨٨ الميناء ٨٩ قوى كالموت ٨٩ اليد اليسرى ٨٩ القناع ٩٠ بييرو ٩٠

وكتب خمس مسرحيات هى قصة من الزمن القديم ٨٧٩ وموزوت ٩٠ وسلام البيت ٩٣ وبروفه ١٩١٠ وعلى ورقة الورد ٢٠٠٠ (نشرتا بعد رحيله)

وقد قدمت اعمالا كثيرة له على شاشة السينما

أما لقب موباسان فكان لعائلة قديمة جاءت من اللورين وحطت في نهر الماريتيم بنورماند يا في منتصف القرن التاسع عشر والدة جوستاف تزوج عام ١٩٤٠ من لور لوبواتفان البورجوازية نشأ جى بين البحر والحقل فأحب الطبيعة والرياضة في الهواء الطلق والرصيد وخالط الفلاحين

التحق بمدرسة داخلية كاثوليكية وهو في الثالثة عشرة فاظهر عدم اهتمام بالدين الامر الذى ادى الى طردة فالتحق بليسيه دى روان واظهر اجتهادا وتميزا في دراسته وفي الشعر والمسرح وتعرف الى فلوبير واصبح تلميذا له وحصل على البكالوريا عام ١٨٦٩ ورحل الى باريس لدراسى الحقوق لكن الحرب أوقفت

مسيرته وفي عام ١٨٧٠ أبان الحرب الفرنسية البروسية انخرط في الجيوش النورماندية المتقهقرة اما الزخف الالمانى وأنهى الجندية عقب الحرب تاركا نورمانديا الى باريس

عمل بوزارة البحرية التقى بتورجنيف عام ١٨٧٧ واصيب بمرض السيفليس لكنه واصل الكتابة وعمل صحفيا في الفيجارو الشهيرة وتأثر تماما برحيل فلوبير المفاجيء في عام ١٨٨٠ وواجه وحده قدرة مفتقدا رعاية استاذة الدائمة ومع هذا انكب موباسان على الكتابة على مدى العشر سنوات التالية التى شهدت خصوبه انتاجه فأصدر مجموعته القصصية الاولى بيت تولييه ٨١ (طبعتان متتاليتان) وانتهى من روايته الاولى حياه ٨٣ وكان قد بدأها عام ٧٧ ووضع منها ٢٥ الف نسخة نفذت في عام واحد بعدها اعترف تولستوى بأنها اكبر عمل مميز في الادب الفرنسى بعد البؤساء لهوجو في عام ١٨٨٣ ولد ابنه الاول من جوزفين ليتزلمان وفي العام الثانى ولدت ابنته وفي عام ٨٧ ولد ابنه الثانى وكان موباسان على علاقة بالكونتيسة ايمانو بلابونوكا الثرية والجميلة والمثقفة معا وكان قد انتهى من كتابة روايته الشاملة " صديق جميل والتى طبع منها ٣٧ طبعة في اربعة شهور وعنها قال موباسان صديق جميل هى انا وفي عام ٨٨ ظهرت روايته الثالثة بيير وجان وادت صحته المعتله الى الشعور باليأس والوحدة فآثر السفر طويلا الى الجزائر وايطاليا وانجلترا وسيسل حيث كتب الكثير من اعماله التالية وتحقيقاته الصحفية وحاول أن ستمتع بيخته الخاص صديق جميل لينسى مرضه ورفض الموت وتعرف الى الكسندر دوماس الابن والفيلسوف تان في عام ٩٠ الروح الغربية التى لم يكملها في العام التالى بدأ رواية " أنجيلوس ولم يكملها

في الاول من يناير ٩٢ قام بمحاولة انتحار بالمسدس وكان خادمة قد أفرعة من الطلقات فكسر الزجاج وحاول ذبح رقبته ونقل الى المستشفى في اليوم السادس حيث اصيب بالشلل التام وتوفى في السادس من يولبيو عام ٩٣ بعد ثمانية عشر شهرا من الغيبوبة التامة وقبل ان يتم عامة الثالث والاربعين بشهر واحد وكان قد كتب اخر كلماته " دخلت الى الادب وسأخرج منه بضربه قدر)

وقد اشار موباسان الى رؤاه في مقدمة روايته بيير وجان فهو يحدث الاثر الواقعى بأسلوب واقعى ايضا مصورا الانسان المعاصر ويرى أن الكتاب الكبار هم هؤلاء الذين يطبعون الانسانية بأدراكهم الخاص فهو يسعى دائما الى اخراج رواية موضوعية

فالواقعية من وجهه نظرة هى رؤية خاصة عن العالم الذى يريد الكاتب أن يكشفه لنا فالامر يتعلق بأننا نحن مانظهره دون التخلى عن فكرة أن الرواية عمل فنى له معنى نهائى ومحدد وليس ضروريا أن يكون هذا المعنى اخلاقيا

ومع هذا لم يقترب موباسان كثيرا من طبيعة زولا الشديدة رغم أعجاب هبه وتتلمذه عليه وعلى مذهبه فهو يبحث عن الحقائق بعيدا عن التحليل النفسى فالتحليل النفسى من وجهه نظرة ينبغى أن يكون مختفيا في الرواية كما هو مختفى في الحقيقة ولهذا هو اقرب الى بلزاك وفلوبير وهذا ما قاله وهو يؤبن فلوبير " الموهبه هى صبر طويل ولغة ناصعة ومنطق وعصب (وتدور اعمال موباسان حول اربعة محاور هى نورماندیا وحرب ١٨٧٠ والنساء الضحايا والازمات النفسية كالجنون والاحباط والارانويا والموت واليأس والتشاؤم والوحدة رغم قدرة الانسان وصلابته وروحه المرحة

تعلم موباسان من استاذة فلوبير أن يقول كل مايريد في مائة سطر فقط وهى سمة من أهم سمات القصة القصيرة

وتعلم من أستاذة بلزاك دقه الملاحظة وجدية المراقبة والرؤية الثاقبة واستيعاب النظريات الادبية والفلسفية

وتعلم من استاذة زولا أن يكون مرآه للطبيعة وأن يفرق بين موضوع تستوعبه قصة قصيرة وموضوع لا تستوعبه الا رواية

وقد تنوعت شخصيات موباسان وخاصة صغار البورجوازيين وفلاحى نورماندیا والاجراء والموظفين وظهر التشاؤم واضحا من خلال حزن الاشخاص او قسوة الاحداث

أن أهم مايميز كتابات موباسان هو غيابة عنها وعدم تدخله بالرأى أو بالفعل أو بالكلمكات والعبارات فهو يترك الاحداث تدور في مجراها والشخصيات تتصرف بطبيعتها والكلمات الخاصى بكل طائفة أو مجتمع أو ممهنه أو وسط وهكذا تصدر تلقائة وطبيعية

كان موباسان ابرز اعضاء صالون زولا الذى كان كائنا بمنزله بشارع سان جورج ثم يفيللته بميدان كل خميس حيث انضجت بعد ذلك المجموعة التى سميت باسم منطقة ميدان مثل هنرة سييار والكسيس وليون هينيك وكارل هايسمانس وقد اشترك اعضاء الجماعة السته بما فيهم زولا في اصدار مجموعة بعنوان " أمسيات ميدان " حول موضوع واحد هو الحرب معلنه مانيفستو المدرسة الطبيعية

الا أن المدرسة الطبيعية واجهت نقدا مستمرا من المثاليين بقيادة باربى دوفيللى وبرونو تيير ولوميتر وأناتول فرانس